عقلاني المقدس

كتاب لعبد العزيز بنعبد الله ينير الطريق

■ عندما اختار الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (عضو اكاديمية المملكة المغربية) اجراء حوار علمي شامل حول قضايا الاسلام التاريخية والعلمية والكلامية مع جان - بيير تاغوربي واصداره باللغة الفرنسية في كتاب بعنوان «عقلاني المقدس» (سلسلة رسالة الاسلام) انما كان يرمي من ذلك الى مخاطبة العالم الغربي اولا، ثم العالم الاسلامي ثانيا، خطابا متوازنا مستنيرا عدته النصوص الصحيحة ووسيلته الاقناع المنطقي وغايته ابراز الوجه الحقيقي للاسلام الذي يجهله كثير من الناس في العالم.

■ تتمفصل الاسئلة والأجوبة، في هذا الكتاب، بين ما هو عقلاني وما هو روحاني مؤكدة التداخل المنطقي بينهما بل التكامل الواضح الذي يصهرهما في بناء قوي وجميل ومقنع.

يقول البروفسور اريك جوفروي (من جامعة ستراسبورغ) في تقديمه لهذا الكتاب:

«والحال ان لدي الاقتناع الجازم بان الرجال الروحانيين او الصوفية، واختر اي اللفظين شئت - يعرفون وحدهم كيف يتحدثون عن الاسلام كليا. فهم وحدهم يدركون كماله وعالميته، ويتمكنون من جعلنا نتذوق ذلك. والبروفسور عبد العزيز بنعبد الله من هؤلاء. فتعمقه في العلوم الاسلامية (لاسيما في علم الحديث)، ومعرفته بالتوراة والانجيل وكذا بالفكر الغربي، ومنهجه الذي يهدف الى بيان ان القرآن، هذا النص الاصلي، يتضمن بطريقة تركيبية وتلميحية تطورات العلوم المعاصرة... كل هذه الايهامات كانت ستظل، في الواقع، مشتركة بما فيه الكفاية، لولا انها غذيت واضيئت بالحدسية، والتي تكاد تكون حسية، بروحانية المؤلف.

والتي وجدت ترجمتها في استعمال لغة فرنسية شخصية جدا واصيلة» (ص 12).

ويرى جان بيير تاغورني في التوطئة التي مهد بها لهذا الحوار العميق ان «(عقلاني المقدس) لا يتناول موضوعا شائكا وحساسا فقط، بل يخضع لمنهجية اصيلة كذلك» ويضيف موضحا قيمة هذا الكتاب:

«بالفعل، في هذا العصر الذي يشهد فيه الانسان، في مختلف بقاع العالم، انهيار ايديولوجيات خطيرة الى هذا الحد او ذاك، ويشهد فيه كذلك ظهر فكر وحيد هدام، يشعر كثير من الناس شعورا متزايدا كل يوم بالبحث عن معنى. الا ان هؤلاء معرضون في

ذ. عبد العزيز بن عبد الله

معظم الاحيان بسبب خطورة حالتهم الروحية، لسلوك طرق وهمية، والوقوع، من ثم، فرائس للانبياء الكذبة الذين اتخذوا من الروحانية متجرا مربحا جدا.

وبالتالي فان عقلاني المقدس يجيب، بطريقة متواضعة وعظيمة، للتساؤلات المشروعة التي قد يطرحها الانسان الغربي.

لكن هذا الكتاب سيكون، بالتاكيد، جم الفائدة بالنسبة للقراء الشرقيين، بسبب التثاقف المعمم، وسيكون مفيدا جدا بالنسبة لكل فرد يرغب، بصدق وموضوعية، في اكتشاف او معرفة اساس الرسالة القرانية معرفة جيدة على الخصوص بحيث يكون متخلصا من الاخطاء المزعجة التي يقع فيها المرء عن حسن نية، اي عن جهل، وهو الشيء الذي يتقاسمه كل الناس في العالم بشكل افضل».

ويقول جان - بيير تاغورني عن منهج الكتاب: «يستعمل عقلاني المقدس منهجا خاصا. اذ يفضل البروفسور بنعبد الله بالفعل - وهو المحاضر المدرب» - الا يعرض معارفه على نحو مفرض في الحسم على الرغم من ذلك».

ويضيف جان - بيير تاغوني مبرزا قيمة هذه الاسئلة والاجوبة التي يحفل بها الكتاب: «انني مقتنع، على كل حال، بانها لن تترك احدا في لامبالاته، مادامت موجهة الى الروح والقلب وما دامت تناغم بين تناهينا وبين المطلق الذي لا يمكن ادراكه مع ذلك. وبالتالي فهي تبقى اثار ضوء على الدروب المتعرجة للمعرفة والحب.

وللمملكة المغربية ان تفخر بكونها تتمتع بمثل هؤلاء المرشدين» (ص 14-15).

لا يكمن غنى هذا الكتاب فقط في تعدد الاسئلة والاجوبة التي يحتويها والتي تكشف عن حقائق جوهرية في الاسلام تمس الحاجة الى معرفتها كما، بل كذلك في المنظور العلمي الايماني الذي حلل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله، من خلاله، تلك الحقائق. والظاهر انها اثارت وتثير في اذهان الغربيين تساؤلات لا يدافع الفضول المعرفي فقط، بل بسبب كثير من التحريفات والتشويهات التي تعرضت لها صورة هذه الحقائق على مدى العصور في الغرب. بل ان كثيرا من هذه الحقائق يجهلها عدد غير قليل من المسلمين ومن ثم اهمية كتاب «عقلاني المقدس» المزدوجة.

● الصديق بوعلام